آلان باديو

لغز مايو 68

لنا الحق في التمرّد

ترجمة: أحمد حسان

لغز مايو 68

لنا الحق في التمرّد

أحمد حسان/ مواليد القاهرة في شهر أكتوبر 1945، عمل بالصحافة والترجمة. ويقوم بالترجمة من ثلاث لغات هي الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية. قدم أكثر من 50 عنوانًا في الكتب الفكرية والفلسفية، وقام بتقديم العديد من الترجمات الهامة والمبدعة لعديد من الأعلام في الفكر الإبداعي التنويري، على سبيل المثال لا الحصر: "سلافوي جيجك، وفالتر بنيامين، وإدوارد جاليانو، وجيل دولوز، وآلان باديو، وروبرتو بولانيو".

.....

لغز مايو 68

طبعة 2021

رقم الإيـــداع: 2021/14915

الترقيم الدولي: 978-977-821-206-8

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any from or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر
محمد البعلي

إخراج فني
علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبِّر بالضرورة عن رأي دار

«ON A RAISON DE SE REVOLTER» by Alain BADIOU
© Librairie Artheme Fayard, 2018

Cet ouvrage a bénéficié du soutien du Programme d'aide à la publication de l'Institut Français et du programme Taha Hussein de l'Institut français d'Egypte.

حظي هذا العمل بدعم من برنامج دعم النشر الخاص بالمعهد الفرنسي وبرنامج طه حسين الخاص بالمعهد الفرنسي بمصر.

INSTITUT FRANÇAIS
Egypte

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET
sefsafapr@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
49 شارع المخزن- العمرانية- الجيزة- مصر

آلان باديو

لغز مايو 68

لنا الحق في التمرّد

ترجمة

أحمد حسان

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

باديو، آلان، -1937

لغز مايو 68: لنا الحق في التمرّد/ آلان باديو، ترجمة: أحمد حسان الجيزة، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، 2021

76 ص، 20 سم

تدمك 978-977-821-206-8

-1 الفلسفة الغربية

أ- حسان، احمد (مترجم)

ب- العنوان

190

رقم الإيداع: 2021/14915

المحتويـات

9	مصير الفرضيات حول معنى مايو 68
25	«مايو 68» كان ثلاثة
25	الأول...
33	الثاني...
39	الثالث...
43	كان ثمة، جوهريًّا، (مايو 68 رابع)
55	سردية صغيرة شخصية الطابع
63	واليوم؟
71	وختامًا

إهداء المترجم

إلى مصطفى نور الدين،

بحر العطاء الدافق.

1

مصير الفرضيات حول معنى مايو 68

سـنُعاوِدُ إذًا التحـدُّثَ قليـلاً فـي كل مـكان عـن مايـو 68، مُسـتَعينينَ برمزيـةِ نصـفِ قـرنٍ[1]. سـنرى كيـف تأخـذُ مـكانَ الصـدارة، علـى رأس مقـالاتِ الاحتفـالاتِ السـنوية، الفكـرةُ الغامضـة عـن مايـو 68 بوصفـه مهرجانًـا شـبه تمـرُّدي لأخلاقيـاتٍ جديـدة ضـد العالـم القديـم، بوصفـه مَقدمًـا للنزعـة النسـوية، بوصفـه إنتاجًـا تمهيديًّـا لحركـة LGBT[2]، بوصفـه وداعًـا غَسَـقيًّا للطبقـة العاملـة، بوصفـه آخـر اليوتوبيـات، بوصفـه تحـرُّرا جنسـيًّا، بوصفـه تاريخًـا نرقُصـه علـى أنغـام موسـيقى الـروك، بوصفـه تقديمًـا أعمـى لليسـار فـي السـلطة فـي انتخابـات عـام 1981، بوصفـه ألعابًـا ناريـةً نقابيـةً قبـل خمـودِ النيـران، بوصفـه أناركيـةً مُلونـةً بالأحمـر، بوصفـه تمـردًا مناهضًـا للسـلطة، بوصفـه محصّلـةً لمشـاجراتٍ تافهـة، بوصفـه جـودار وهـو يصنـع سـينماه فـي الشـارع، بوصفـه مُزحـةً لمـاو أخذهـا علـى محمـل الجـدِّ بعـضُ المثقفيـن المُغتبِطيـن، بوصفـه ثورةً ثقافيـة بالصلصـةِ الغربيـة الناعمـة، بوصفـه ذريعـةً لخلـق ألـفِ شـرذمةٍ متورِّمـة، بوصفـه احتـلالاً للجامعـات مـن أجـل تعميـم الاحتـلالات، بوصفـه الـذروة النقديـة للثلاثينيـة المجيـدة[3]، بوصفـه ذكـرى مسـتقبليةً للعجائـز

1- صدر هذا الكتاب في الأصل عام 2018 كمحاولة للتفكير في معنى انتفاضة 1968 في فرنسا بعد خمسين عاما على انفجارها (الناشر)

2- LGBT: Lesbian, Gay, Bisexual, Transgender.. مثلية، مثلي، مزدوج التوجه الجنسي، متحول. أحيانًا يضاف إليها متحيرQuestioning، [مجتمع الميم]، وبينيّ الجنس Intersex. (الهوامش القادمة أعدها المترجم؛ مالم يذكر غير ذلك)

3- les Trente Glorieuses: الأعوام الثلاثون التي تلت الحرب العالمية الثانية، وشهدت ازدهارًا ونموًّا استثنائيين.

الحُمـر المُعتزِلـين، بوصفـه ثـورةً بروليتاريـة دون بروليتاريـين ولا ثـورة، بوصفـه منفـذًا للمراهقيـن القادميـن مـن ازدهـار المواليـد بعـد الحـرب، بوصفـه واقـعَ الموضـة بيـن الشَّـعر الطويـل والتنـورات القصيـرة [المينـي جيـب]، بوصفـه إدماجًـا للطبقـة العاملـة فـي مجتمـع الاسـتهلاك، بوصفـه رفضًـا لمجتمـع الاسـتهلاك مـن جانـب المسـتهلكين، بوصفـه اسـتنفادًا بالأعـلام الحمـراء للاسـتهلاك التجـاري، بوصفـه اسـتدارةً للعبـور مـن بنيويـة ألتوسـير إلـى حيويـة دولـوز، بوصفـه خلقًـا مُجهَضًـا لشـيوعيةٍ جديـدة، بوصفـه حكايـةً لصينيـةٍ [4]، أو لصينـي، بوصفـه بدايـةَ النهايـةِ للحـرب البـاردة، إلـى آخـره، إلـى آخـره...

يمكـن فهـمُ تلـك التلاويـن المتنافـرة. أولًا لأن حقيقـةَ «مايـو 68» لا يمكـن قراءتُهـا فـي مايـو. دعونـا لا ننسـى، دعونـا لا ننسـى أبـدًا، أنـه فـي يونيـو، كانـت أضخـمُ مظاهـرةٍ، عدديًّـا، فـي تتابُـع المظاهـرات، هـي مظاهـرة البرجوازيـة المذعـورة، تحـت قـوس النصـر، التـي يُلـوِّح علـى رأسـها (أندريـه) مالـرو[5] مُخـدَّرٌ. أن ديجـول ذهـبَ إلـى ألمانيـا ليـرى إن كان الجيـشُ الفرنسـي سـيظل الركيـزةَ الأبديـة للـدول الطبقيـة. وأنـه، وسـط وطءِ الأقـدام، أعـادت أغلبيـةٌ انتخابيـة سـاحقةٌ اليميـنَ إلـى سِـرج القيـادة، مُشـيرةً بذلـك إلـى أن هويـة مايـو 68، فـي

4- الإشارة هنا إلى فيلم جودار بعنوان «الصينية» عن فتاة ماوية ورفاقها.
5- أندريه مالرو (1901-1976) أديب فرنسي كبير حصل على جائزة جونكور وخدم كوزير للثقافة في عدة حكومات فرنسية (الناشر).

نظرها، تُعدُّ اختلالًا مُوجِعًا جدًّا.

إن حقيقة مايو 68، بمعنى حتى مجرَّد الوصف البسيط لتفرُّده، ليست ممكنةً إلّا إذا وضعنا في الاعتبار أعقابَه المباشرة من جهة السنوات العشر التي تلته وتعقيدَه الداخلي من جهةٍ أخرى. لأن مايو 68 هو بالأحرى كورَسٌ بوليفوني [متعدد الأصوات] متنافرٌ غالبًا أكثر من كونه فرقةً متناغمةً من العازفين.

ما شكّل تفرُّد مايو 68 (وكذلك دون شكٍ تفرُّد ما يُقارب السنوات العشر التي تلته)، ليس على الإطلاق بساطةَ فكرةٍ، ولا ضخامة تمرُّدٍ. فلا وميضُ الفكر، ولا قوة العدد يمكنهما أن يُشكّلا طابع تلك اللحظة. وحين يفكّ جان كلود ميلنرJean-Claude Milner، في عمله Constat، شفرة الحَدَث باعتبارها اقتران التمرد والفكر، فإنه يضِلُّ.

لنقُل أولًا أن ما يتعلّق بجانب العنف والعدد لم يكن جديدًا على الإطلاق، حتى لو كانت الصورُ الباقية عنه ما زالت تمارسُ تأثيرها. فقد جرت، منذ نهاية أعوام الخمسينيات، وبالأخص بصدد حرب الجزائر، لا مواجهاتٍ بالغة العنف مع الشرطة فحسب أوقعَت جرحى وقتلى أكثر من مايو 68، بل مجموع كامل من الممارسات غير القانونية، تتراوح من رفضِ الذهاب لأداء الخدمة العسكرية كجنديٍّ في الحرب الكولونيالية إلى شبكاتِ الدعم للمنظمات الوطنية الجزائرية، وهي ممارساتٌ عادةً ما تم

دفعُ ثمنِها بعمليات نفيٍ طويل، واعتقالات، ومحاكمات، وفي الجزائر ذاتها، بعمليات تعذيبٍ وإعدامات. رويدًا رويدًا أخذ الرأيُ العام ينقسم بعنفٍ بشأن هذه الحرب، التي تم إضرامُها من جديد، عام 1956، بطاقةٍ إجرامية بالمعنى الدقيق من جانب الحكومة الاشتراكية لجي موليه، بعد حملةٍ انتخابيةٍ جرت تحت شعار «السلام في الجزائر». من تلك اللحظة، فضلاً عن ذلك، اقتنعتُ بأن الاشتراكية الديمقراطية خبيرةٌ في الجحود والخداع، وهو الأمر الذي رهنَت شرفَها على التو بالبرهنة عليه بصورةٍ دامغة، على جانب الحزب الاشتراكي، من موليه إلى ميتران، ومن ميتران إلى جوسبان، ومن جوسبان إلى أولاند[6]. لكن على جانب الحزب الشيوعي الفرنسي، لم تمض الأمورُ بصورةٍ أفضل، من والديك روشيه إلى جورج مارشيه، ومن مارشيه إلى روبير هيو وماري جورج بوفيه، ومن هؤلاء الأخيرين إلى بيير لوران[7]. إن اليسار برمّته هو ما ينبغي في العمق التفكيرُ في أنه لم يفعل، خلال التتابعِ الذي يمضي من سنوات الخمسينيات حتى اليوم، والذي يتطابق مع حياتي النضالية، سوى مُتتاليةٍ من الخيانات، قبل أن يخبو إلى عدمٍ خامل. لكن بالفعل، منذ عشرات السنين، كتب سارتر: «اليسار هو جثةٌ [مدفونة] بالمقلوب [و] تتعفّن».

6- موليه، ميتران، جوسبان وأولاند هم رؤساء فرنسيون سابقون ينتمون إلى الحزب الاشتراكي (الناشر).

7- روشيه، مارشيه، هيو، بوفيه وبيير لوران هم زعماء سابقون للحزب الشيوعي الفرنسي (الناشر).

ربما كان المعادلُ الواقعي لهذه الفكرة الواضحة والعنيدة التي هي «اليسار» هو الميّتُ الحي من البداية. على الدوام، تحت حكم الاشتراكي موليه، كان البعض يضعون ملصقاتٍ تصِمُ بعنفٍ نادر «المثقفين الانهزاميين»، ويعنُون مُعارضي الحرب الكولونيالية الوحشية، بينما كان المثقفون المذكورون -وأنا من بينهم- يهبطون بانتظامٍ مُستعِيضين عن العددِ بنوعٍ من الشجاعةٍ بولفار سان ميشيل، لينالوا الضربَ بالهراوات أسفله، وينهضوا في أوشِحَتهم ليستقرّوا في عربات الشرطة. أود بذلك القول إنه، فيما يتعلق بالشعور السامي بانقسامٍ شرس وعنفٍ كامن، كان يجتاحني القتالُ خلال ذلك الزمن أكثر مما كان يفعل في مايو 68. في العمق، كان ثمة تمردٌ، بالتأكيد، في مايو 68. لكن كان ثمة أيضًا، خلال كل شهر مايو البديع ذاك، وبالأخص خلال تلك الأسابيع الأربعة الأولى، برغم الصدامات العديدة وضحايا تجاوزات الشرطة، والمتاريس، ودخان الغاز المسيل للدموع، نوعٌ من الإجماع المواتي الطافي، موافقةٌ بالغة الاتساع، كان شعارُها بالنسبة لي هو رؤية بعض المباني السكنية الجميلة، في أحياء هادئةٍ من باريس، مكسُوّةً، بصورةٍ متناقضة، بالأعلام الحمراء.

أما بالنسبة لما كان على جانبِ الفكر الجديد، فيجب القول إنه كان يشجِّع وسوف أعود إلى تلك الديمومة الصبور والرزينة، الفعل النضالي العنيد، أكثر من إلحاح الفعل الجماهيري بقوةٍ

مفتوحـة. خـلال مايـو ذاتـه، ظـل القامـوس السياسـي تقليديًّـا إلـى حـدٍّ كبيـر، حتـى لـو كانـت تزيِّنـه بعـض الاكتشـافاتِ، الفاتنـةِ أكثـر مـن كونهـا ملحميـة، مـن قبيـل «تحـت أحجـار الرصـف، الشـاطئ» أو «لنـدع الخـوفَ مـن الأحمـر للوحـوش ذات القـرون». كانـت الموتيفـة العامـة للـ«ثـورة» تُمـارَسُ هـي ذاتهـا كمـكانٍ مشـترك دون محتـوى حقيقـي يمكـن بلوغـه، ودون فعـلٍ رمـزي يمكنـه، ولـو مـن بعيـدٍ جـدًّا، أن يُذَكِّـر بالهجـوم ضـد التويلـري[8] أو الاسـتيلاء علـى قصـر الشـتاء[9]. وأنـا نفسـي، أذهلنـي أن أرى مظاهـراتٍ بالغـة الأهميـة، فـي المدينـة الإقليميـة التـي كنـت أسـكنها وأُدرِّس فيهـا حينهـا، تمـرُّ دون خـوفٍ أمـام قسـم شـرطةٍ مُجـرَّدٍ تمامًـا مـن الدفـاع البوليسـي حيـث كان كلُّ الجهـاز القمعـي متركّـزًا علـى باريـس دون أن تبـدو أدنـى نيـةٍ للاسـتيلاء عليـه. وأنـا نفسـي، فـي دهشـتي التـي لـم تخطـر علـى بـالِ أحـد، حلمـتُ بذلـك الهجـوم، لكننـي فـي الحقيقـة لـم أحلـم بذلـك بجديـةٍ أكبـر لأننـي لـم أفعـل شـيئًا لإعـداده أو حتـى للدفـاع علنًـا -أمـام الجمعيـات العامـة التـي لا تُحصـى لتلـك الفتـرة- عـن فرصـة القيـام بـه. ومـن جهـةٍ أخـرى، كانـت المسـألةُ بداهـةً مسـألةَ «نضـالٍ»؛ «معركـة»، وعلـى المقيـاس السـلبي، كان ثمـة أيضًـا رفـضٌ واضـحٌ للشـكل البرلمانـي للدولـة، تبـدّى منـذ أن تلقّـى جـزءٌ كبيـر مـن الحركـة

8- يشير الكاتب إلى اقتحام الثوار لقصر لويس السادس عشر عام 1792 خلال الثورة الفرنسية الكبرى (الناشر)

9- هو الاستيلاء على قصر الحكومة الروسية من قبل البلاشفة وأنصارهم خلال الثورة الروسية عام 1917 (الناشر)

فـي يونيـو إعـلانَ الاسـتفتاءِ بصيـاحٍ مُـدوٍّ، أظهـر كلُّ المسـتقبل معنـاه الحقيقـي، معنـى «الانتخابـات، فـخُّ الحمقـى». لكـن ذلـك كلـه لـم يُشـكِّل أي رؤيـةٍ جديـدة للسياسـة. لـم يوجـد فـي ذلـك سـوى أشـكالٍ جنينيـة لنفـي الأشـكال القائمـة، وبصـورةٍ فريـدةٍ أحـزاب يسـارٍ، بمـا فـي ذلـك الشـيوعيون، كان واضحًـا تمامًـا أن الحركـة تزعجهـم إلـى حـدٍّ أنهـا لـم تحـرِّك فيهـم ولـو إحساسًـا غامضًـا بالرضـى.

يمكننـي القـول عـن طيـبِ خاطـر، ضـد القـول المأثـور لميلنـر، بـأن مايـو 68 وتوابعـه أشـارت إلـى انفصـام disjonction التمـرد والفكـر. فهمـتُ فـي نهايـة المطـاف أن المشـكلة السياسـية لـم تكـن مشـكلةَ حركـةٍ بهيجـةٍ وواسـعة ضـد القصـور الذاتـي للدولـة، بـل مشـكلةَ تنظيـمٍ يجـب ابتـكاره، ضـد شـكل الحـزب مـن طـراز الحـزب الشـيوعي الفرنسـي، الـذي لـم يعـد لـه وريـث. يشـير مايـو 68 فـي آنٍ واحـدٍ إلـى نهايـة الشـكل الرخـو والشـرس لـ«حـزب الطبقـة العاملـة» وإلـى بـدء لغـزٍ مـا زال يعمـل، ويمكـن صياغتـه ببسـاطة: إذا كان حقيقيًّـا أن مـن لا يملكـون شـيئًا علـى الإطـلاق لا نقـود، ولا أسـلحة، ولا سـلطة، ولا أدوات دعايـة ليـس لديهـم مـن قـوةٍ سـوى قـوة اتحادهـم وانضباطهـم، وإذا كان حقيقيًّـا أيضًـا أن الشـكل المركـزي والعسـكري الطابـع للحـزب السـتاليني قـد أظهـر حـدوده، فبـأي انضبـاطٍ جديـدٍ، بـأي وحـدةٍ قادمـةٍ يجـب إذًا دعـمُ الفعـل الشـعبي؟ وبصـورةٍ أعـمّ، مـا هـي السياسـة الحقيقيـة، تلـك التـي تسـتهدف، كمـا يُنشِـد نشـيدُ الأمميـة، أن «يتغيـر العالـم مـن أسـفل» وأن يصبـح مـن

ليسوا شيئًا كلَّ شيءٍ؟

لكـن لفهـم كلِّ هـذا جيـدًا، يجـب أولًا القضـاء علـى الـرؤى النمطيـة لمايـو 68، الـرؤى التـي تُغـذي بثقـةٍ احتفـالات وكذلـك إدانـات، نوبـاتِ حنيـنٍ وكذلـك محاكمـات، ذلـك الشـهر الرمـزي فـي مناسـبة إحيـاء ذكـراه الخمسـين. إنهـا رؤىً تجمعُهـا الرغبـةُ بـأي ثمـنٍ فـي اختـزالِ الحـدث إلـى نـوعٍ مـن الوميـضِ النابـض للوهـم داخـلَ تفاهـةِ مـا هـو واقعـي. أن يتحـدث المـرءُ عـن «أضخـم إضـرابٍ فـي تاريـخ فرنسـا»، عـن «تمـرد الشـباب»، عـن «ثـورةٍ فـي العـادات»، عـن «عيـدٍ لليوتوبيـات»، فإنـه يتشـبّثُ بسـرابِ انقطـاعٍ بسـيط، بتـلاشٍ باهـر، ويجهـل أن كلَّ حـدثٍ لا يكتسـب قيمـةً فـي قوتـه إلّا بعنـادِ عواقبـه. وإذا كان المـرءُ يحلـم، مثـل سـاركوزي، بــ «القضـاء علـى مايـو 68»، فذلـك أيضًـا لأنـه ينسـبُ إليـه قـوةً يكـون هـذا الشـهر بوصفـه كذلـك، معـزولًا، بعيـدًا عـن امتلاكهـا.

لكـن، فـي هـذه الظـروف، لمـاذا تشـيعُ اليـوم إلـى هـذا الحـد الرغبـةُ فـي الاحتفـال بذكـرى مايـو 68؟

الإجابـة الأولـى سـلبية صراحـةً. يمكننـا اليـوم الاحتفـال بذكـرى مايـو 68 لأننـا واثقـون مـن أنـه ميّـتٌ. فبعـد خمسـين سـنةً، لـم تعـد بـه نأمـةٌ. وهـذا مـا يُعلنـه بعـض الثمانيـة والسـتينيين القدامـى البارزيـن. «Forget mai 68!» [انسـوا مايـو 68!] هـذا مـا يحضّنـا عليـه منـذ زمـن طويـل كوهـن بنديـت، بطـل المشـهد الثمانـي والسـتيني الـذي

أصبح سياسيًّا عاديًّا. نحن في عالمٍ آخر تمامًا، تغير الوضعُ تمامًا، ومن ثم يمكننا الاحتفالُ بذكرى شبابنا البديع بكل هدوء. لا شيء إذًا مما حدث له دلالةٌ نشطة بالنسبة لنا. حنينٌ وفولكلور.

ثمة إجابةٌ ثانيةٌ أشدُّ تشاؤمًا بدورها. إننا نُحيي ذكرى مايو 68 لأن ما كان في طريقه للميلاد، في ظل السفسطةِ الثورية، ما أصبح النتيجةَ الحقيقية منذ عام 1983، كان في الحقيقة إذعانًا واسعًا، في كل مكان، لعودة الرأسمالية الليبرالية المطلقة العنان وتمجيدًا حاسمًا للـ «ديمقراطية» الساذجة المصاحبة لها. في هذه الرؤية للأشياء، التي تتقاسمُها وتنشرها كتائبُ المثقفين المُهرولين إلى التنكّر لجموحات شبابهم، من جهة، فإن الجزءَ الليبرتاري لـ68، تغيير العادات، والنزعة الفردية، وطعم المتعة، يجدُ تحقُّقه في الرأسمالية ما بعد الحداثية وعالمها المُبرقَش بالاستهلاكات من كل نوع. أما بالنسبة للجانب الآخر للصخب، بالنسبة لتروتسكية وماوية تلك الفترة، دون نسيان أناركيي العمل المباشر، فلا يجب أن نرى فيه سوى ألسنةِ اللهب الأخيرة، التافهة عمليًّا، لنزعةٍ شمولية بشعة، بلغت أخيرًا اختلاجات الاحتضار. وأخيرًا، في هذه الرؤية، فإن الناتج الديالكتيكي الإيجابي لمايو 68 يمكن أن يكون ساركوزي بشخصه. وكما دعانا مبكرًا جدًّا جلوكسمان Glucksman أو برنار هنري ليفي BHL، فإن الاحتفاء بمايو 68، يعني اليومَ الاحتفاءَ بدولة القانون المُدَافَعِ عنها بشجاعة ضد البرابرة الروس أو الصينيين، دون

أن ننسى المسلمين البشعين وإرهابييهم[10]، بواسطة الجيش الأمريكي أولًا، ثم بواسطة الشرطة الجمهورية [11]. بالنسبة لأولئك الأشخاص، فإن مايو 68، الذي جرى التنكُّر له على نحوٍ مناسب، بما يعني تجريدَه من بَهرجِه الشمولي، يفتحُ الطريقَ الملكي لإحالةٍ مُنقِذةٍ إلى الولايات المتحدة، ودولة إسرائيل، إلى قيم وفضائل الغرب الإمبريالي.

وأودّ أن أضع في مقابل تلك الرؤى الخانقةِ فرضياتٍ أشدَّ تفاؤلًا تتعلق بإحياء الذكرى.

الأولى، هي أن هذا الاهتمام بـ68، خصوصًا من جانب جزءٍ كبير من الشباب، هو، على نقيض الفرضية الثانية، هبّةٌ مناهضة لساركوزي، تمرد أصمُّ وأعمى ضد التحول الذي تم إدخاله في نسق التمثيلات السائدة بانتخاب تلك الشخصية، التي لا يُعدُّ ماكرون سوى إدامةٍ لها. فساركوزي هو من أراد فرضَ فكرةِ أن الثراء، حبَّ الربح وأوجه رفاهيته، احتقارَ الفقراء المبتذلين، الذين ليسوا سوى خاسرين، لا يجب أن تكون ممكنةً فحسب، بل ضرورية وعادلة. إلّا أن ميتران كان متعقلًا، في هذه النقطة. فقد

10- يشير الكاتب بسخرية إلى وجهات نظر منتشرة وسط أقصى اليمين الأوروبي (الناشر)
11- أعتقد أن الشرطة الجمهورية تشير هنا إلى فرق مكافحة الشغب الشهيرة :CRS Compagnons républicains de securité:

تجنَّـب تابـيTapie [12]، الـذي كان مـع ذلـك أحـد قتلتـه المأجوريـن: «انتبـاه! الفرنسـيون لا يحبـون النقـود». أراد سـاركوزي الوصـول إلـى آخـر حـدود هـذا النفـور. وواصـل هولانـد، فعليًّـا، السـير فـي هـذا الطريـق: فقـد شـن حملتـه بإعـلان أن عـدوّه هـو «المـال»، لكنـه أظهـر علـى الفـور أنـه مضطـرٌّ تمامًـا لأن يصبـح صديقـه. وأخيـرًا، يجعـل ماكـرون مـن رفاهيـة عصبـةٍ أوليجاركيـةٍ، مـن تدفُّـق رؤوس الأمـوال، بدايـة ونهايـة «الحداثـة»، ضـد كل «تشـنُّجٍ عتيـق» بصـدد أمـورٍ مـن قبيـل الحمايـة الاجتماعيـة أو الخدمـة العامـة. وبديهـي أنـه مـا مـن شـيءٍ أشـدُّ تعارضًـا مـع التهويمـات الثمانيـة والسـتينية. هـل يمكـن التفكيـر، إذًا، فـي ذروة النفـي، أن عديـدًا مـن الشـباب وقدامـى المحنكيـن سيسـتديرون صـوب مايـو 68 الـذي هـو بالنسـبة للأوليـن ميثولوجـي، وبالنسـبة للآخريـن ذاكـرةٌ حيّـة مثلمـا صـوب مصـدرٍ متـاحٍ للإلهـام، نـوعٍ مـن القصيـدة التاريخيـة، لاسـتعادة الشـجاعة، لـرد الفعـلِ حقًّـا ونحـن فـي قـاع الثقـب الـذي يفرضـه علينـا الانتصـار المشـؤوم للرأسـمالية المعولمـة؟

ويمكـن لبعـض المؤشـرات أن تتيـح صياغـة فرضيـة أخـرى، أكثـر تفـاؤلًا. سـيتم إدراج تقديـر مايـو 68 ضمـن مسـيرة وعـي مـا زال

12- برنار تابي (-1943) نائب برلماني فرنسي ووزير أسبق في الحكومة الفرنسية ورجل أعمال تم اتهامه وأُدِينَ في قضايا فساد (الناشر).

غائمًا، لكنه منتشر، يمثل ضرورة وإلحاح القضاء على فرض مصير وحيد على البشرية، نهاية للتاريخ، بمعنى فوكوياما، نهاية يمثلها ترادف الرأسمالية والشكل البرلماني للسياسة، وكلاهما يتميزان على الدوام بوصم «الحرية» كقيمة عليا. هذا الوعي الوليد يمكن أن يرفض بهلع كلًّا من الرأسمالية والمناهضة العتيقة للرأسمالية من جانب اليمين المتطرف، التي تعير عنوانها الفاشل للكتاب الأخير لجان كلود ميشيا Jean-Claude Michéa، عدونا، رأس المال. هذا العنوان يمكن الاعتقاد بأنه لا يحتمل الرفض ما لم يكن مؤلفه قد عَلَّقَ عليه كما يلي: «من الأسهل اليوم تخيل نهاية العالم أكثر من نهاية الرأسمالية». وبذلك يضفي الصفة الفوكويامية على نقده المزعوم لليبرالية، وأخيرًا يقترح تقهقرًا تقليديًّا إلى الوراء، خليطًا من النزعة القومية والديموجوچيا، يطهوه، في باحته الخلفية، قريبًا جدًّا من ماري لوبن Marine Le Pen. ولن يندهش المرء لكونه خصمًا لدودًا، منذ زمن طويل، لمايو 68، وبالتالي، لأن الوعي المسبق الذي أتحدث عنه لا يمكن أن يقع في فخاخه. لأن هذا الوعي المسبق يؤكد بالضبط أن من البساطة بمكان، وليس من المستحيل على الإطلاق، التفكير في نهاية الرأسمالية ووضعها موضع التنفيذ، وأن ذلك هو ذات إلحاح اللحظة: إعادة تشييد رؤية للعالم، داخل كل فرد وكذلك على نطاق واسع، على أساس الصراع بين طريقين، الطريق الرأسمالي والطريق الشيوعي. بالنسبة لهذا الوعي على وشك

الاستيقاظ، فإن الاحتفال بذكرى مايو 68 سيكون بمثابة إشارة إلى أن اليوم سيعود.

ما زال يتوجب معرفة عن أي مايو 68 نتحدث؟ لأن ما يجب فهمه أولًا، هو أن إحياء الذكرى هذا إذا كان يتيح مجالًا لكل هذه الفرضيات المتناقضة، فذلك لأن مايو 68، مع كل ما انفتح عليه خلال ما يقارب عشرين عامًا، هو حدث ذو تعقيد بالغ. من المستحيل إعطاء صورة موحدة ومريحة له. لهذا السبب، فإن هذا الحدث، باستثناء تفرده الذي نادرًا ما يُلَاحَظُ، قد احتفظ كاسم، بتاريخه، السنة، والشهر، ولا شيء آخر. برهانًا على أن اسمًا سياسيًّا، من قبيل «الثورة الفرنسية»، أو «كوميونة باريس»، أو «الثورة الثقافية»، أو «الأيام الثلاثة المجيدة»[13]، لم يمكن الإشارة إليه به، خصوصًا أنه لم يقدم للتاريخ أسماء أعلام بارزين، زعماء أو أبطال. يظل مايو 68 لغزًا من نواح عدة. وأود أنا أن أقنع قارئي أن هذا اللغز يرجع إلى أنه، تحت الاسم البالغ الغموض لـ «مايو 68»، تكمن كثرة متنافرة.

13- الأيام الثلاثة المجيدة: اسم آخر لثورة يوليو الفرنسية، أو ثورة 1830. وهي أيام 27، و28، و29 يوليو، التي تحولت فيها الاحتجاجات إلى عصيان نصب فيه الثوار المتاريس في باريس وسيطروا عليها، مما أسفر عن عزل شارل العاشر عن العرش وتنصيب لوي فيليب، الذي سيعزل بدوره. حيث تم استبدال سلالة بوربون بسلالة أورليان.

2

«مايو 68» كان ثلاثة

الأول...

مـن البديهـي أنـه قـد وُجِـدَ، فـي وقـت واحـد، ثلاثـة «مايـو 68» مختلفيـن. عـلاوة علـى رابـع، لكـن لندعـه الآن جانبًـا. وقـوة، خصوصيـة، مايـو 68، هـي أنـه ضفـر، زاوج، راكـب بيـن ثـلاث سـيرورات بالغـة التنافـر فـي النهايـة. لِنُسَـمِّهَا علـى الفـور: 1) مايـو 68 الطـلاب والتلاميـذ. 2) مايـو 68 العمَّالـي. 3) مايـو 68 الليبرتـاري. وإذا كانـت محصـلات هـذا الحـدث بالغـة الاختـلاف، فذلـك لأن المـرء يتمسـك عمومًـا بواحـد مـن الجوانـب وليـس بالإجمالـي المعقـد الـذي صنـع طبيعتـه التاريخيـة الحقـة.

لنتحـدث هنـا، أولًا، عـن مايـو رقـم 1؛ لأنـه هـو الـذي -ظاهريًّـا علـى الأقـل- وضـع النـار علـى البـارود.

كان مايـو 68 أولًا، بالفعـل، انتفاضة، تَمَرُّدًا للشـبيبة الطلبة والتلاميذ. هذا هـو الجانـب الأكثـر اسـتعراضيةً، الأكثـر شـيوعًا، هـو الذي تـرك صـورًا قوية، نعـاود الرجـوع إليهـا مؤخـرًا: المظاهـرات الحاشـدة، المتاريـس، المعـارك مـع الشـرطة، إلـى آخـره. صـور عنـف، وقمـع، وحمـاس، يجـب -فيمـا يبـدو لـي- أن نسـتخلص منهـا ثـلاث خصائـص. أولًا: كانـت هـذه الانتفاضـة فـي حينهـا ظاهـرة عالميـة. مـن مكسـيك المذابـح فـي ميـدان عـام إلـى ألمانيـا الهَبَّـات الطلابيـة القويـة، مـن صيـن الثـورة الثقافيـة إلـى الولايـات المتحدة ذات الحـركات ضـد حـرب فيتنـام، مـن إيطاليـا الكيانـات المسـتقلة ذاتيًّـا إلـى يابـان الجيـش الأحمر، مـن الانتفاضـات الإصلاحيـة في تشيكوسـلوفاكيا

إلـى التمـردات الفلسـطينية ضـد الاحتـلال الصهيونـي، كان الشـباب فـي كل مـكان يَهِـبُّ ضـد العالـم كمـا أُعِيـدَ تأسيسـه فـي نهايـة الحـرب العالميـة الثانيـة. إن مايـو 68، بمعنـى مكوِّنـه الطلابـي، هـو التنويعـة الفرنسـية لظاهـرة عالميـة.

ثانيًـا: مـن المهـم تذكُّـر أنـه فـي تلـك الفتـرة، قبـل التعديـلات المُتَّخَـذةَ لدينـا جزئيًّـا تحـت تأثيـر القـوة الدافعـة الكوكبيـة للشـباب، كان الطلبـة -طلبـة الجامعـات- وحتـى التلاميـذ -تلاميـذ المـدارس الثانويـة- يمثلـون أقليـة بالغـة الضآلـة مـن الشـباب فـي مجملـه. هـذه الظاهـرة محجوبـة الآن لأنـه، منـذ قانـون شـفينمان Chevènement لعـام 1985 والقوانيـن التـي تلتـه، يمكننـا إعـلان أن -منـذ عـام -2012 79% مـن الفئـة العمريـة قـد اجتـازت البكالوريـا. وفـي الحقيقـة، يخفـي هـذا التأكيـد الظافـر اسـتقرار مُحَـدِّدَات الفئـة. لأن البكالوريـا العامـة -الوريـث الوحيـد الحقيقي للبكالوريـا القديمـة- مسـتقرة بصـورة ملحوظـة منـذ عشـرين عامًـا. 33% مـن الفئـة العمريـة اجتـازت هـذه البكالوريا عـام 1990، و38% عـام 2012. أمـا البكالوريـا «الشـعبية» -الأصعـب- أي التقنيـة، فهـي مسـتقرة بدورهـا، مـع تراجـع طفيـف. 18% عـام 1990، و16% عـام 2012. البكالوريـا الحرفية -مـا قبـل البكالوريـا الحقيقيـة بالنسـبة للجماهير- هـي التي تخلـق الارتفاع الظاهـر، 5% بعـد خلقهـا مباشـرة عـام 1990، و25% عـام 2012. الحقيقـة أن البكالوريـا البرجوازيـة -البرجوازيـة الصغيـرة- كانـت تتعلـق، عـام 2012،

بنسبة 38% من السكان، ويتعلق نوعا البكالوريا الشعبيان بنسبة 41%، وتبقى نسبة 21% من المستبعدين، مما لا يمكن إغفاله على الإطلاق. هذه الأرقام تقدم مُحَصِّلَةً على أساس تحليل طبقي كلاسيكي تمامًا؛ حيث أنه يتعلق ببلد «متطور»، مما يعني أنه قوة إمبريالية. 38% من الأوليجاركية والبرجوازية الصغيرة الميسورة، و62% من المأجورين (العاملين والعاطلين). بعد توضيح ذلك، فإن الوضع الذي ترمز إليه كلمة «بكالوريا» مختلف تمامًا حين نريد الحديث عن مايو 68. ففي عام 1967، كان ما لا يزيد على 15% من الفئة العمرية يجتازون البكالوريا، وحين نتحدث عن «طلبة»، فإننا نتحدث عن جزء محدود جدًّا، ومتميز بداهةً من مجموع الشباب، جزء منفصل بقوة عن جمهور الشباب الشعبي. وهذا ما يمكن أن يفسر أن قِسْمًا هامًّا من حركة الشباب، في مايو 68، قد حَرَّكَهُ أبناء وبنات البرجوازية، بما في ذلك البرجوازية الكبيرة.

كما توضح هذه الظاهرة بدورها أن التماسك الأيديولوجي كان ضعيفًا: فقد كان تنكرًا استثنائيًّا يهلك المعسكر النضالي، وبالأخص من احتلوا وظيفة قيادية، ومعسكر السنوات التي تلت نهاية أعوام السبعينيات. يضرب عدد من المثقفين صدورهم وهم ينبذون الماوية، أو التروتسكية، أو الستالينية، وينحازون جماعيًّا إلى جانب «الديمقراطية»، و«حقوق الإنسان»، و«الحضارة الغربية». تتضح هذه الظاهرة المثيرة للاهتمام حين نتذكر أن

الشـبيبة الطلابيـة لمايـو 68 كانـت نابعـة فـي غالبيتهـا مـن البرجوازيـة السـائدة. وحيـن رأت أنـه لـم تظهـر أدنـى بـادرة علـى أي انتصـار ثـوري، يمكنهـا أن تلعـب فيـه دورًا مجيـدًا، ولـن يحدث بالنسـبة للقـادة المرتجلين للمجموعـات السياسـية نقـل مغـر لشـهرتهم، أصبـح طبيعيًّـا فـي المحصلـة أن ينضـم جـزء ملحـوظ مـن متمـردي 68 مـن جديـد إلـى الوضـع الرّيعـي لمعسـكرهم الأصلـي.

يبقـى أن الطلبـة وجـزءًا كبيـرًا مـن المثقفيـن، فـي مايـو 68 أولًا، ثـم فـي التتابـع الـذي يمضـي مـن 1968 إلـى 1978 «السـنوات الحمـراء» العشـر بالحسـاب الأوسـع، قـد فَعَّلُـوا حركـة قويـة أيديولوجيـة وعمليـة.

الملاحظـة الثالثـة والأخيـرة بصـدد مايـو 68 الأول هـذا هـي أن عناصـر الجـدّة مـن نوعيـن: مـن جهـة؛ القـوة الاسـتثنائية للأيديولوجيـا ورموزهـا.. للقامـوس الماركسـي.. لفكـرة الثـورة. وفيمـا هـو أبعـد مـن ازدحـام المنظمـات والشـراذم، التـي عـادة مـا تكـون متعارضـة بقـوة، فـإن نوعًـا من اللغـة المشـتركة مزيجًـا مـن الضـراوة الأناركيـة، والدوجمائيـة الماركسـية، والشـعر الظرْفـي تُوحِّـدُ رمزيـة الحركـة وتضفـي علـى شـعاراتها نغمـة قابلة للتعـرف. والملصقـات البالغـة الجمـال، التـي أنجزهـا طلبـة مدرسـة الفنـون الجميلـة، هـي نـوع مـن التلخيـص البصري لهـذا الابتـكار. ومن جهـة أخرى، ثمـة -بوجـه شـديد العموميـة- قبـول جديـد للعنـف، لمشـروعيته، حتـى لو لـم تمارسـه فـي الشـارع إلا مجموعـات مُنَظَّمَـة ومحـدودة. هـذا العنـف

دفاعـي بشـكل كبيـر، ضـد القمـع، ضـد قـوات الدولـة، لكـن ليـس هـذا فحسـب. إذ سـيظل ممكنًـا خـلال أعـوام ليسـت بالقليلـة رؤيـة فصائـل جامعيـة تذهـب لإلقـاء أحجـار الرصـف علـى الـوكالات المصرفيـة، وأوكار اليانكـي أو مكاتـب أصحـاب الأعمـال. وقـد جـرى تعلـم صنـع والتعامـل مـع «كوكتيـل المولوتـوف» فـي أفنيـة مدرسـة المعلميـن العليـا. كل هـذه الترسـانة الأيديولوجيـة والنشـاطية سـتضفي لونهـا، وصورهـا القويـة، علـى هَبَّـةِ الطـلاب والتلاميـذ خـلال بضعـة أعـوام، بـدءًا مـن الانفجـار الربيعـي الأول.

بعـد قـول هـذا، لـن يعـود باسـتطاعتنا نسـيان أن جـزءًا بالـغ الأهميـة عدديًـا مـن حركـة الطلبـة كان يتكـون مـن جمعيـات عامـة لا تنتهـي موجَّهـة مبدئيًّـا لتغييـر الجامعـة، لخلـق «مجموعـات عمـل»، للاعتـراض علـى الامتحانـات، لنقـد [14] «الـدرس الأسـتاذي» cours magistral، لتغييـر البرامـج الدراسـية بصـورة إبداعيـة وغيرهـا مـن المهـام مـن الدرجـة الثانيـة، رغـم امتلائهـا بالنوايـا الحسـنة.

لكـن كل حركـة تتضمّـن جزءهـا الكامـن مـن القصـور الذاتـي، أو مـن التحريـض بـلا جـدوى. الأيديولوجيـا الثوريـة المشـفرة، الأفعـال الحـادة موضعيًّـا، الوقـت الضائـع، والإصلاحـات الوهميـة، كل هـذا يُشَـكِّلُ مايـو 68 الأول.

14- الدرس الأستاذي cours magistral: أو المحاضرة الأستاذية:
درس يلقيه الأستاذ على طريقة المحاضرة ويعتمد علي المحاضر تمامًا، سواء من وجهة نظر المحتوى أو طريقة تتابعه، ويتركز على نقل المعلومات دون مشاركة فعَّالة من الطلبة.

3

مايو 68 كان ثلاثة

الثاني...

ثمة مايو 68 ثانٍ، مختلف تمامًا، هو أضخم إضراب عام في كل التاريخ الفرنسي. هنا يكمن مكون بالغ الأهمية. من جوانب عديدة يُعَدُّ هذا الإضراب العام كلاسيكيًّا بشكل كبير وعادة ما ستجري مقارنته بالانتفاضة العمالية لعام 1936، بلحظة إقامة حكومة الجبهة الشعبية. ستتم من البداية بِنْيَتُهُ حول المصانع الكبرى والشركات المؤمّمة، ومصانع الصلب، والكيمياء، والسيارات، ومعامل تكرير البترول، والسكك الحديدية... وفيما وراء الوقائع الاستهلالية، التي سأعود إليها، سيكون الإضراب من الناحية الأساسية مبنْينًا ومُسَيَّرًا من جانب النقابات، وبصورة فريدة من جانب النقابة العامة للشغل CGT، التي كانت لا تزال بكاملها تحت سيطرة الحزب الشيوعي الفرنسي PCF. وسيكون امتداد الحركة بوجه خاص إلى الشركات المتوسطة والصغيرة موضع «تشجيع» كبير من فرق إقناع نقابية.

ويمكن القول على الفور أن هذا الإضراب، في اتساعه وديمومته، في هيئته «المتوسطة»، يتموضع تاريخيًّا ضمن سياق بالغ الاختلاف عن تمرد الشباب، الذي سيحاول الحزب الشيوعي -وسنرى أن هذه النقطة تتمتع بأكبر أهمية- عزله بجدران حقيقية. ينتمي الإضراب إلى سياق يمكنني القول إنه يساري على نحو كلاسيكي، بالمعنى الذي كان به الحزب الشيوعي -في تلك الفترة- دون أدنى شك مكون هذا اليسار الأكثر حضورًا في الوسط العمالي.

وفي الوقت نفسه كان هذا الإضراب يستمد الحيوية بشكل مكافئ من عناصر راديكالية تجديدية، هي أربعة بالعدد.

1. أولًا: كان شن الإضراب وسيره، خارجًا إلى حد كبير عن المؤسسات العمالية الرسمية. ففي أغلب الحالات كانت مجموعات من العمال الشباب هي التي أطلقت الحركة خارج المنظمات النقابية الكبرى، التي انضمت إليها على الفور، جزئيًّا؛ لتكون في موضع التحكم فيها. ثمة إذًا، في مايو 68 العمالي هذا، عنصر تمرد كامن، هو أيضًا، في الشباب. وقد مارس هؤلاء العمال الشباب ما أطلق عليه غالبًا «إضرابات وحشية» grèves sauvages، لتمييزها عن الأيام النقابية التقليدية الكبرى. ولنلاحظ أن هذه الإضرابات الوحشية بدأت منذ عام 1967، في نورماندي بالتحديد، ومن ثم لم يكن مايو 68 العمالي مجرد تأثير لمايو 68 الطلابي، بل إنه قد استبقه. هذه الرابطة الزمنية والتاريخية بين حركة الشباب المتعلم وبين حركة العمال هي رابطة خاصة تمامًا.

2. عنصر راديكالية آخر: هو الاستخدام المنهجي لاحتلال المصانع. بديهي أنه ميراث من الإضرابات الكبرى لعام 1936 أو عام 1947، لكنه أكثر تعميمًا. فمجمل المصانع تقريبًا محتلة وتكسوها الأعلام الحمراء. إنها لصورة رائعة! لكن يجب هنا تَذَكُّرُ أن المباني الجامعية كانت هي أيضًا محتلة، وتكسوها الملصقات، واللافتات، والأعلام. يجب رؤية ما جرى لهذا البلد؛ ليجعل -في

وقـت واحـد- كل المصانـع وكل الكليـات تكتسـي بالأعـلام الحمـراء. مـن رأى ذلـك لا يمكـن أن ينسـاه.

3. العنصـر الثالـث «الخشـن»: منـذ تلـك الفتـرة، وخـلال السـنوات التاليـة، ثمـة ممارسـة بالغـة المنهجيـة ليـس لاحتـلال جهـاز الإنتـاج، ليـل نهـار، فحسـب، بـل كذلـك لاختطـاف أصحـاب العمـل وللشـجارات الهامشـية مـع الكـوادر أو مـع قـوات مكافحـة الشـغب CRS. ممـا يعنـي أن النقطـة التـي تحدثـت عنهـا للتـو، عـن قبـول معيـن للعنـف، يوجـد داخـل حركـة الطلبـة والتلاميـذ، لكـن يوجـد أيضًـا، بأشـكال مختلفـة، داخـل الحركـة العماليـة.

4. يجـب أخيـرًا أن نتذكـر، لننتهـي مـن مايـو 68 الثانـي ذاك، أنـه، بعـد وضـع كل هـذه العناصـر فـي الاعتبـار، سـتصبح مسـألة ديمومـة، والسـيطرة علـى الحركـة بالغـة الحـدة. فبيـن الرغبـة القياديـة للنقابـة العامـة للشـغل وبيـن الممارسـات التـي تحيـل إلـى مـا يسـميه المـؤرخ كسـافييه فينيـا Xavier Vigna باسـم «العصيـان العمالـي»، سـتقع نزاعـات داخليـة فـي حركـة الإضـراب، نزاعـات بالغـة الحيويـة. فبـدءًا مـن لحظـة معينـة يريـد الحـزب الشـيوعي الفرنسـي والنقابـة العامـة للشـغل، اللـذان يشـكِّلان عضويًّـا جـزءًا مـن «الديمقراطيـة» البرلمانيـة، أن تسـود قدرتهمـا التفاوضيـة مـع الدولـة، والاعتـراف، الرسـمي نوعًـا مـا، بهمـا كقوتيـن قائدتيـن للحركـة. يمنحهمـا بومبيـدو، رئيـس الـوزراء آنـذاك، هـذا الأمـر ويفتـح فـي وزارة العمـل مفاوضـات

كبـرى، سـميت «مفاوضـات جرينيـل». سـتكون مسـألة كلاسـيكية جـدًّا؛ لزيـادة الأجـور، ضروريـة فضـلاً عـن ذلـك، ودفـع أجـور أيـام الإضـراب، كل الأمـور التـي تتميـز بـأن تمـرد الطلبـة لا علاقـة لـه بهـا. لكـن عنـد تقديـم بروتوكـول ذلـك الاتفـاق، بصخـب كبيـر، إلـى مضربـي مصنـع رينـو فـي بيانكـور المجتمعيـن فـي جمعيـة عامـة، تـم رفضـه بأغلبيـة قويـة. فجـأة، سـتتجاوز ديمومـة الحركـة كل اعتيـاد. بهـذا المعنـى، يمكـن القـول بـأن ذاتيـة عماليـة متمـردة ربطـت الإضـراب بشـيء غيـر محـدد لا يـزال، لكنـه -علـى كل حـال، لـم يكـن قابـلاً للحـل ضمـن الثنائيـة الكلاسـيكية- مطلـب عمالـي، تفـاوض، نقابـي. انفتـح صَـدْعٌ، واقعـي رغـم أنـه غيـر واضـح، لثغـرة سياسـية، لرؤيـة أخـرى لهـذا النـوع مـن النـزاع.

4

مايو 68 كان ثلاثة

الثالث...

مايـو 68 الثالـث هـذا، الأقـرب دون شـك مـن الأول أكثـر مـن الثانـي، لكنـه متنافـر بشـكل حاسـم عن الاثنيـن، سأسـميه مايـو الليبرتـاري. ويمكن القـول إنـه لا ينـدرج بالضبـط لا ضمـن الهبَّـات الديمقراطيـة (بالمعنـى الحقيقـي، الـذي يميـل قليـلاً إلـى الأناركيـة، وليـس بأيـة حـال بالمعنـى البرلمانـي للمصطلـح)، ولا ضمـن محـدّدات الصـراع الطبقـي كمـا ينقلهـا الحـزب الشـيوعي الفرنسـي، والنقابـة العامـة للشـغل، وكذلـك المنظمـات التروتسـكية مثـل النضـال العمالـي Lutte ouvrière. ويمكـن بالأحـرى ضمـه إلـى تقاليـد الشـيوعية الطوباويـة، شـيوعية فوريـة، أو أيضًـا، علـى مسـتوى أكثـر ثقافيـة إلـى التقاليـد السـريالية، التـي تعتقـد أن «الثـورة» تعنـي فـي المقـام الأول تغييـرات جماليـة لحيواتنـا.

بهـذا المعنـى الأخيـر، اسـتطاع جـى ديبـور Guy Debord أن يصبـح المفكـر الأيقونـة لمايـو 68 الثالـث هـذا، وهـو السـليل الحديـث العظيـم لسـريالية أعـوام العشـرينيات والمُنَظِّـرُ المتميـز الأسـلوب، الأرسـتقراطي بعـض الشـيء، للشـيوعية بوصفهـا تحـولًا وجوديًّـا لعالـم منـزوع الاسـتلاب، مقتلـع مـن السـلعة ومـن عقيـدة الاسـتهلاك. وحتـى اليـوم ينسـب البعـض إلـى ديبور-باسـتثناء ذلـك- أهميـة شـبه محوريـة فـي مايـو 68، رغـم أنـه لـم يفعـل سـوى إزهـار مايـو الأول مـن بيـن الثلاثـة، ومنـح بعـض التعبيـرات للثالـث، دون أن تكـون لـه أيـة علاقـة فعليـة بالثانـي. وثمـة شـيء يقبـل المقارنـة بصـدد مايـو 68، فـي مصيـر المذهـب الحيـوي الفلسـفي لدولـوز. فدولـوز شـخصيًّا،

ظـل متباعـدًا عـن السياسـة النضاليـة. لكـن فكـره القـوي أفـاد فـي أن يجعـل مـن «الحركـة» -ومنهـا وحدهـا- المقولـة التـي يتبلـور فيهـا وعـد العوالـم الجديـدة والحيـوات المتسـامية، ومـن «الرغبـة» المحـرك الفـردي الطابـع للحركـة.

يجـب القـول إن مـواد مايـو 68 الثالـث كانـت تنتمـي إلـى ذاك الضـرب مـن التنـوع، فقـد كانـت الأسـئلة السـائدة فعليًـا هـي تغييـر العـادات، والعلاقـات العاطفيـة الجديـدة، والحريـة الفرديـة. تسـاءلت الحركـة الطلابيـة عـن تحيـز «البـؤس الجنسـي». وتغلبـت الجماليـات بشـدة علـى السياسـة. هـذه البوتقـة المائلـة إلـى الأناركيـة هـي التـي سـتمنح بعضًـا مـن لونهـا للحركـة النسـوية، مثلمـا منحتـه لحركـة حقـوق المثلييـن. وكل هـذا التحريـض الحيـوي سـيؤثر أيضـا فـي المجـال الثقافـي، مـع فكـرة مسـرح جديـد يكـون فيـه الجسـد هـو الحضـور الرئيسـي، حضـور شـكل جديـد مـن الـكلام العـام، أسـلوب جديـد للفعـل الجماعـي، عبـر ترويـج الحـدث [happening]، والارتجـال والمجالـس العامـة états généraux للسـينما... ويشـكل هـذا أيضـا مكوِّنًـا خاصًـا لمايـو 68، يمكـن القـول إنـه أيديولوجـي، ولا يشـارك بدرجـة أقـل، رغـم لجوئـه أحيانًـا إلـى الـكلام المتحذلـق والفتـور الاحتفالـي، فـي النغمـة العامـة للحـدث.

5

كان ثمة، جوهريًّا،

مايو 68 رابع

يجب تذكر أن هذه المكونات الثلاثة لمايو 68 تظل مختلفة، رغم تقاطعات هامة. إذ يمكن أن توجد فيما بينها تنازعات ذات دلالة. فبين «اليسارية» العامة للحركة وبين اليسار الكلاسيكي، وبالذات الحزب الشيوعي الفرنسي، ستجري مواجهات حقيقية، وكذلك بين اليسارية السياسية (وتمثل عادة بالتروتسكية) وبين اليسارية الثقافية، الأناركية بالأحرى. كل هذا يعطي صورة لمايو 68 بوصفه فورانًا متناقضًا وليس عيدًا موحدًا على الإطلاق. حياة مايو 68 كثيفة وتظهر في كثرة من التناقضات.

وتتمثل المكونات الثلاثة بمواضع رمزية كبرى؛ بالنسبة للطلبة فإنها السوربون المحتلة، وبالنسبة للعمال هي مصانع السيارات الكبرى (وفي قلبها رينو بيّانكور Renault-Billancourt)؛ وبالنسبة لمايو الليبرتاري الاحتلال -المدمّر رغم ذلك- لمسرح الأوديون.

ثلاثة مكونات، وثلاثة مواضع، وثلاثة أنماط من الرمزية ومن ثم من الخطاب؛ ومن هنا، بعد خمسين عامًا، ثلاثة حسابات ختامية مختلفة. على جانب الطلبة، محاولات إصلاح الدراسات، وطرح الدروس الأستاذية والامتحانات للتساؤل، وتطوير مجموعات عمل تطوعي، وخلق إدجار فورEdgar Faure -حين أصبح وزير التربية القومية- لجامعة تجريبية، هي باريس VIII، الواقعة في غابة فانسين، والتي ستصبح بالفعل، خلال بضع سنوات، نوعًا

مـن المختبـر، يعـج بـكل الميـول السياسـية. وعلـى جانـب العمـال، بعـد إضـراب عـام عنيـف وذي امتـداد غيـر معهـود، زيـادة قويـة فـي الأجـور (يجـب القـول بـأن الازدهـار الاقتصـادي يضمـن التشـغيل الكامـل، ومـن ثـم وضعًـا مـن الضعـف النسـبي لأصحـاب العمـل)، وأنويـة مـن الشـبان المتمردين فـي المصانـع، والشـعور المبهـم، أيضًـا، بـأن النقابـة العامـة للشـغل والحـزب الشـيوعي الفرنسـي بمعنـى مـن المعانـي قـد تبعـا الحركة عـن بعـد أكثـر ممـا أراداهـا أو دعماهـا. أنهما قـد خشـيا «اليساريين» أكثر ممـا حاربـا الحكومـة. وعلـى الجانـب الليبرتـاري، سـنجد، بخـلاف الانتشـار الفلسـفي، والأدبـي، والفنـي، بصـدد الإحالـة إلـى «حيواتنـا» (التـي وجدناها مـن جديـد حتـى حـركات عامـي 2016 و2017)، الحـركات التـي تتمركـز حـول «النـوع» الجنسـي، وتحريـر موانـع الحمـل والإجهـاض، ومخططًـا لتحويـل الرابطـة العاطفيـة، وباختصـار، زلزلـة هـذه الركيـزة للرجعيـة التـي تمثلـت دومًـا فـي العائلـة.

لكـن بشـكل محـدد، حيـن يتحـدث المـرء اليـوم عـن مايـو 68، عـن مـاذا يتحـدث؟ عـن المجمـوع المعقـد للثلاثـة مايـو 68، أم عـن واحـد فقط مـن المكونـات الثلاثـة التـي يعزلهـا المـرء طبقًـا للمصالـح الأيديولوجيـة أو السياسـية المرتبطـة بالوقـت الحاضـر؟

فيمـا يخصُّنـي، أود التمسـك بـأن أيًّـا مـن هـذه المكونـات الثلاثـة ليـس الأكثـر أهميـةً، إذ وجـد مايـو 68 رابـع، هـو الجوهـري، والـذي

يحدد المستقبل أيضًا.

هـذا الـ «مايـو 68» أقـل قابليـة للقـراءة، لأنـه يمتـد فـي الزمـن أكثـر ممـا فـي اللحظـة. إنـه مـا يتلـو شـهر مايـو البديـع، مُوَلِّـدًا سـنوات سياسـية كثيفـة.

لا يمكـن إدراكـه إلا بصعوبـة إذا تـم الالتـزام بشـكل لصيـق بالشـروط الأوليـة، ويسـيطر علـى التتابـع الممتـد مـن عـام 1968 إلـى عـام 1978، ثـم يجـري كبتـه وامتصاصـه رويـدًا رويـدًا، أولًا بظهـور التيـار المعاكـس الأيديولوجـي والمرتـدّ المسـمى «الفلسـفة الجديـدة» رغـم عـدم كـون هذا التيـار جديـدًا ولا فلسـفيًّا، ثـم بانتصـار اتحـاد اليسـار و«أعـوام ميتـران» الحزينـة، وأخيـرًا بالبنـاء المسـيطر لرأسـمالية ارتـدت إلـى وحشـيتها الليبراليـة البدائيـة.

وحتـى إذا كان مايـو 68 الرابـع يحيـا، بأشـكال ذات مغـزى، إلى مشـارف القـرن الجديـد، أي إلـى يومنـا هـذا، فلنكـن طموحيـن، بصـورة بـارزة، وسـوف أتمسـك، فـي شـخصي وفـي بعـض الآخريـن، بالحـل المعقـول للحديـث بصـدده عـن «عقديـن: -1968 1988» بـدل مايـو 68.

تملـك سـيرورة مايـو 68 جانبيـن. أولًا اليقيـن بأننـا، بـدءًا مـن أعـوام السـتينيات، نشـهد نهايـة مفهـوم قديـم للسياسـة. يتلـو ذلـك البحـث الأعمـى بعـض الشـيء، خـلال كل عقـد 1970-1980، عـن مفهـوم

آخر للسياسة. والفرق بين هذا العنصر الرابع وبين العناصر الثلاثة الأولى هو أنه برمته مُشَبَّعٌ بسؤال: «ما السياسة؟» باعتباره، في آن واحد، سؤالًا نظريًا، بالغ الصعوبة، ورافدًا مع ذلك لحشد من التجارب المباشرة التي ينخرط فيها المرء بحماس.

المفهوم القديم الذي يجري السعي إذًا إلى القطيعة معه يقوم على الفكرة السائدة عند نقطة الانطلاق، عند بداية أعوام الستينيات، عند كل أنواع المناضلين، والمقبولة بهذا المعنى بشكل متجانس في المعسكر «الثوري»، بوجود فاعل تاريخي يحمل إمكانية الانعتاق. يسمى «الطبقة العاملة»، «البروليتاريا»، وأحيانًا «الشعب»، ويجري النقاش حول تشكيله، واتساعه، لكن يجري التسليم بوجوده. وبذلك كان يفترض، في تلك الفترة، أن سياسة الانعتاق، المسماة «الشيوعية» دون تحفظات، ليست فكرة خالصة، أو إرادة، أو وصفة طبية، بل إنها، كما تدعمها ماركسية معينة يمكن وصفها بأنها تاريخانية، منقوشة، ومبرمجة تقريبًا، في الواقع التاريخي والاجتماعي.

والنتيجة المترتبة على هذا الاعتقاد هي أن هذا الفاعل الموضوعي agent يجب أن يتحول إلى قوة ذاتية، أن هذا الكيان الاجتماعي يجب أن يصبح مؤديًا ذاتيًا acteur. ومن أجل ذلك، يجب أن يمثِّل بمنظمة نوعية، هي ما نسميه على وجه الدقة حزبًا، حزب الطبقة العاملة، أو الحزب الشعبي. هذا الحزب يجب أن

يوجد في كل مكان توجد فيه مواضع سلطة أو تدخل.

هناك بالتأكيد مناقشات واسعة حول ما هو الحزب: هل يوجد بالفعل، هل يجب خلقه، أو إعادة خلقه، وماذا يمكن أن يكون شكله، إلخ؟ لكن ثمة اتفاق في العمق حول وجود فاعل تاريخي وحول ضرورة تنظيمه. هذا التنظيم السياسي يجب بداهة أن تكون له بدائل اجتماعية، هي المنظمات الجماهيرية، التي تغرس جذورها في الواقع الاجتماعي المباشر. وهذا برمته هو سؤال مكان النقابية، وعلاقتها بالحزب، وما تعنيه نقابية الصراع الطبقي.

يعطينا هذا شيئًا مازال مستمرًا اليوم، هو أن العمل السياسي التحرري له وجهان. فهناك أولًا حركات اجتماعية، مرتبطة بمطالب خاصة، ومنظماتها الطبيعية، هي النقابات، ثم هناك بعد ذلك المكون من نمط الحزب، الذي يتمثل في شن معارك ليكون حاضرًا في كل المواقع الممكنة للسلطة، وينقل إليها -إذا أمكننا القول- قوة ومحتوى الحركات الاجتماعية.

إنه المفهوم الذي يمكن القول إنه كلاسيكي. هذا المفهوم، في مستهل التتابع المسمى مايو 68، كان مشتركًا إلى درجة كبيرة بين كل المؤدين، وكان بالأخص كلي الوجود بلغته. سواء كان المؤدون مؤسسات مسيطرة أو من يقومون بالرد، شيوعيين أرثوذوكس أو يساريين، ماويين أو تروتسكيين، فإنهم

جميعًـا يسـتخدمون قامـوس الطبقـات، وصـراع الطبقـات، والإدارة البروليتاريـة للصراعـات، والمنظمـات الجماهيريـة والحـزب. وبعـد ذلـك، توجـد خلافـات عنيفـة حـول مشـروعية هـؤلاء أو أولئـك وحـول دلالـة الحـركات. لكـن اللغـة هـي ذاتهـا والشـعار المشـترك هـو الرايـة الحمـراء.

سأتمسـك عـن طيـب خاطـر بـأن الوحـدة السياسـية الكامنـة فـي مايـو 68، فيمـا وراء تناقضاتـه العنيفـة، هـي الرايـة الحمـراء. ففـي مايـو 68، للمـرة الأخيـرة، حتـى اليـوم علـى كل حـال، وللأسـف حتـى كل «غـد» قريـب دون شـك، كسـت الرايـة الحمـراء البـلاد، والمصانـع، والأحيـاء. وعنـد أواخـر شـهر مايـو، عـام 1968، كانـت تـرى حتـى علـى نوافـذ شـقق قسـم مـن البرجوازيـة، فـي أحيـاء بالغـة الاختـلاف عـن «الضواحـي» الشـهيرة وعـن «المـدن» المشـكوك فيهـا.

لكـن الحقيقـة الخفيـة، التـي تتضـح شـيئًا فشـيئًا، هـي أن هـذه اللغـة المشـتركة، التـي ترمـز إليهـا الرايـة الحمـراء، فـي طريقهـا للمـوت فـي الحقيقـة. يمثـل مايـو 68 التباسًـا أساسـيًّا بيـن لغـة مشـتركة بالإجمـاع وبيـن بدايـة نهايـة الاسـتخدام، الـلا نقـدي علـى أيـة حـال، لتلـك اللغـة. وبيـن مـا يبـدأ ومـا ينغلـق، ثمـة نـوع مـن الـلا تمايـز المؤقـت، الـذي يصنـع الكثافـة السـحرية لمايـو 68.

هـذه اللغـة المشـتركة، هـذه الماركسـية المعتـادة لأحـزاب ونقابـات «الصـراع الطبقـي»، فـي طريقهـا للمـوت فـي الأحـداث، لأن مايـو، علـى

استحياء، لكن السنوات التي تلته، بقوة، قد طرحا للتساؤل على نطاق واسع مشروعية المنظمات التاريخية لليسار، وللنقابات، وللأحزاب، وللقادة المعروفين. وحتى داخل المصانع، يوجد رد على الانضباط، وعلى الشكل المعتاد للإضرابات، وعلى تراتبية العمل، وعلى السلطة النقابية على الحركات. تم سحب الفعل العمالي والشعبي خارج إطاره المعتاد عن طريق مبادرات تعتبر أناركية أو وحشية. وهناك أخيرًا، وربما قبل كل شيء، نقد جذري للديمقراطية التمثيلية، للإطار البرلماني والانتخابي، للـ«ديمقراطية» بمعناها الدولتي، المؤسسي، الدستوري، الذي تعهد إليه كل التنظيمات «الثورية» بمصيرها، في الواقع، ولو بمجرد التصاقها الذي لا يتغير بما سمّاه متمردو القرن التاسع عشر -عن حق تمامًا- باسم «القماءة البرلمانية».

ويجب قبل كل شيء ألا ننسى -أكرر- أن الشعار النهائي لمايو 68 هو «الانتخابات.. فخ الحمقى». وليس هذا مجرد تحمس أيديولوجي؛ فثمة أسباب محددة تبرر هذا العداء للديمقراطية التمثيلية. إذ في أعقاب شهر هائل من الاستنفار الطلابي، ثم العمالي، والشعبي غير المسبوق، نجحت الحكومة في تنظيم انتخابات وكانت النتيجة هي أشد برلمان شهدته البلاد رجعية! ومن ثم أصبح واضحًا للجميع أن الجهاز الانتخابي ليس فقط، ولا حتى أساسًا، جهاز تمثيل، بل إنه كذلك جهاز قمع للحركات، والتجديدات، وأوجه القطيعة.

مـن خـلال هـذا كلـه، كل هـذا «النقـد الكبيـر» -إذا تكلمنـا مثلمـا يفعل الثوريـون الصينيـون- السـلبي مـن الناحيـة الجوهريـة، تشـق طريقـه رؤيـة جديـدة، رؤيـة للسياسـة تحـاول اقتـلاع نفسـها مـن الرؤيـة الكلاسـيكية. هـذه المحاولـة هـي مـا أسـميها مايـو 68 الرابـع. وهـو يفتـش عمـا يمكـن أن يوجـد فيمـا هـو أبعـد مـن انسـداد النزعـة الثوريـة الكلاسـيكية. يفتـش بطريقـة عميـاء، لأنـه يفتـش مسـتخدمًا نفـس اللغـة التـي تسـود فـي المفهـوم الـذي يريـد التخلـص منـه. ومـن هنـا التيمـة، غيـر الكافيـة بداهـة، للـ«خيانـة» أو للـ«إنـكار». التنظيمـات التقليديـة يمكـن أن تخـون اللغـة التـي تخصهـا، يمكـن أن تشـهر أنهـا -مـرة أخـرى- اللغـة التصويريـة الجميلـة للصينييـن «الرايـة الحمـراء ضـد الرايـة الحمـراء».

إذا كنـا -نحـن الماوييـن- قـد دعونا الحزب الشـيوعي الفرنسـي وتوابعه «مراجعيـن»، فذلـك لأننـا اعتقدنـا، مثلمـا اعتقـد لينيـن فـي الاشـتراكيين الديمقراطييـن برنشـتين أو كاوتسـكي، أن تلـك التنظيمـات قـد غيـرت اللغـة الماركسـية التـي تسـتخدمها ظاهريًـا إلـى نقيضهـا. ولـم نـدرك بعـد أن عناصـر معينـة مـن تلـك اللغـة ذاتهـا هـي التـي كان يُتَوَجَّـبُ -توكيديًـا هـذه المـرة- تغييرهـا، مسـتخلصين دروس تطبيقهـا فـي الثورتيـن الكبرتيـن فـي روسـيا والصيـن، وكذلـك بقائهـا فـي الأحـزاب الشـيوعية للعـام بأسـره. وإذا كنـا ماوييـن؛ فذلـك لأننـا اكتشـفنا شـيئًا فشـيئًا أن لينيـن فـي الحقيقـة -منـذ نهايـة العشـرينيات- وكذلـك مـاو، فـي خضم الحركـة الهائلة المسـمّاة

«الثـورة الثقافيـة» -الحركـة التـي كان مايـو 68 معاصـرًا لهـا- كانـا قـد حـاولا همـا ذاتهمـا نقـل تيمـة الماركسـية الثوريـة ونظريـة الحـزب الشـيوعي إلى مرحلـة جديـدة مـن صيرورتهـا.

كان مركـز ثقـل بحثنـا الأعمـى هـو مجمـوع أشـكال الارتبـاط المباشـر بيـن صـور مايـو 68 المختلفـة. مايـو الرابـع هـو الخـط المسـتعرض الـذي يربـط بيـن الثلاثـة الآخريـن. كان كنزنـا هـو مجمـوع المبـادرات المتخـذة لإتاحـة الانتقـال بيـن الحـركات الثـلاث المتنافـرة، وبالأخـص بيـن الحركـة الطلابيـة والحركـة العماليـة، مثلمـا كانـت الحـال علـى نطـاق غيـر مسـبوق خـلال الثـورة الثقافيـة، التـي سـيطرت عليهـا عامـي 1965-1966 حركـة الشـبيبة (المعروفـة باسـم «الحـرس الأحمـر»)، ثـم خـلال 1966-1969 الحركـة العماليـة التـي كان نموذجهـا المعيـاري هـو الخلـق المدهـش، بـدءًا مـن ينايـر عـام 1967، لـ«كوميونـة شـانغهاي».

كانـت الماويـة الفرنسـية نوعًـا مـن الاندمـاج، الأيديولوجـي والعملـي، بيـن الـدروس المعاصـرة للثـورة الثقافيـة الصينيـة وبيـن الظـروف العينيـة الأشـد إدهاشًـا للتيـارات الثلاثـة المؤسسـة لمايـو 68 الفرنسـي. ولتسـمحوا لـي، مـن أجـل توضيـح ذلـك، بـأن أُدْخِلُ هنـا بعـض عناصـر السـيرة الذاتية.

6

سردية صغيرة شخصية الطابع

لحظـة انطـلاق مايـو 68، كنـت أسـتاذًا مسـاعدًا فـي إحـدى مـدن الأقاليـم. دخلـت الكليـة فـي حالـة إضـراب (وهـي فـي الحقيقـة مركـز جامعـي لا يتضمـن سـوى الدراسـات التمهيديـة)، مـع التأخيـر الفرنسـي الكلاسـيكي بيـن مـا يحـدث فـي الإقليـم الباريسـي وبيـن مـا يتبعـه فـي داخـل البـلاد. هـذا الإضـراب الطلابـي لا يتميـز فـي شـيء عمـا يجـري فـي أي مـكان آخـر، خليـط مـن المعتقـدات والثرثـرة، مـن التصريحـات «السياسـية»، والإصلاحيـة الأكاديميـة. لكنـه مثلمـا فـي كل مـكان آخـر، يقـدم قاعـدة للعمـل الجماعـي. ومـرة أخـرى -وِفْـقَ مدرسـة الوضـع العـام- ينتشـر الإضـراب العمالـي إلـى كل مصانـع تلـك المدينـة، التـي كانـت فـي تلـك الفتـرة مـن أكثـر المـدن عماليـة فـي فرنسـا طبقًـا لتعـداد السـكان.

وهكـذا ذات يـوم، مثـل الأماكـن الأخـرى أيضًـا، نظمنـا مسـيرة نحـو المصنـع الرئيـس المضـرب فـي المدينـة. في تلـك الفتـرة، كنـت كادرًا محليًّا للحـزب الاشـتراكي الموحـد (PSU)، اشـتراكيًّا ديمقراطيًّـا يسـاريًّا فـي نهايـة المطـاف. لكننـي، ذاتيًّـا، لـم أبـق في صفـوف مقدمـة الموكب بهـذه الصفة. وذلـك لأننـي أعـرف أننـا نُفَعِّـلُ هنـاك الأصالـة المحوريـة التـي يسـتطيعها مايـو 68: الخـطّ المسـتعرض diagonale الجديـد المثقفـون العمـال. نسـير فـي موكـب طويـل ومتلاحـم -فـي شـمس ذلـك اليـوم- صـوب ذلـك المركـز العمالـي. مـاذا سـنفعل هنـاك؟ لا نـدري، لدينـا فحسـب فكـرة غامضـة بـأن التمـرد الطلابـي والإضـراب العمالـي يجـب أن يتحـدا، دون توسـط

المنظمات الكلاسيكية. نصل إلى المصنع المحاط بالمتاريس، المكسو بالرايات الحمراء، بصف من النقابيين أمام الحواجز الملحومة، بين الشك والعداء. بعدها، يقترب بعض العمال الشباب، ثم آخرون، ثم آخرون. تبدأ نقاشات غير رسمية. يبدأ نوع من الاندماج المحلي. نأخذ مواعيد لتنظيم اجتماعات عامة في المدينة. وهنالك ستتأسس إمكانية خط مستعرض نشط بين اثنين من مايو 68.

وفي العام التالي، عُيِّنتُ في جامعة فانسين الجديدة تمامًا. وهناك وجدت فورانًا شاملًا، وجودًا لكل المجموعات، فشاركتُ بنشاط في خلق منظمة جديدة، ماوية صراحة، تريد أن تكون -ألم يقل ماو ذاته عدة مرات أنه وسطي؟- بين النزعة اليسارية المدّعية لليسار البروليتاري (GP)، وبين إعادة الصياغة اليمينية للحزب الشيوعي الستاليني لأعوام الثلاثينيات، التي هي الحزب الشيوعي الماركسي اللينيني لفرنسا (PCMLF). وسمينا هذه المنظمة الجديدة، بكثير من الاحتياطات، «المجموعة من أجل تأسيس الـUCFML»، أي: المجموعة التي تهدف لتأسيس اتحاد لشيوعيي فرنسا الماركسيين اللينينيين، وهو اتحاد يهدف بدوره لخلق حزب شيوعي من طراز جديد، من خلال النضالات ذاتها. مما يعني القول أن هذا الحزب، ليس من أجل الغد! أولًا، يجب الارتباط بجماهير العمال، خلق نُوَيَّات شيوعية، الوجود في النضالات، عرض جَدَّتنا السياسية رويدًا رويدًا.

في هذا الإطار، منذ التتابع الأساسي الذي يمتد من مايو 68 إلى بداية أعوام السبعينيات، وُجِدَتْ الاجتماعات الطلابية العمالية في المدينة الإقليمية التي تحدّثت عن مصيرها السياسي أخيرًا: بواسطة اندماج واضح بين الجَدَّة العمالية التي ما زالت عمياء، وقدوم الطلبة، وخلق منظمة ماوية مركزية، كانت ستصبح مصفوفة ميلاد منظمة للمصنع، هي «صندوق التضامن»، الجديد تمامًا في تركيبه وفي أهدافه، والذي سيستمر خلال سنوات طويلة وحافلة بالنشاط.

يمكننا إذًا القول بأن ما جرى هناك -عند بوابة المصنع، في مايو 68 -هذا الخط المستعرض العملي بين مايو رقم 1 ومايو رقم 2، الموسوم ذاتيًا بحماسة بهيجة وقلقة في آن، والذي استمد منه مايو رقم 3 فلسفته، ضاربًا بذلك المثل لما يجب ويمكن أن يكونه مايو رقم 4 كخط مستعرض للثلاثة الأخرى- كان مصيره حياة سياسية جديدة تمامًا في مصنع كبير.

لم تكن هذه الحياة السياسية محتملة، أو متخيلة قبل أسبوع أو أسبوعين من موكبنا من الكلية باتجاه المصنع. وقد احتفظ الجهاز النقابي والحزبي الصلب عمومًا بالعمال، والطلبة، والمثقفين منغلقين بشدة داخل منظماتهم الخاصة. وكان التوسط الوحيد يمر من خلال الإدارات المحلية أو القومية. وفي وضع تلك اللحظة، أخذ ذلك الجهاز يتصدع تحت أعيننا. وكنا في

آن واحد المؤدين المباشرين لهذه الجدَّة والمشاهدين المنبهرين لها.

هـذا، هـو الحـدث l'événement بالمعنـى الفلسـفي للمصطلـح: شـيءٌ يحـدث لا يمكـن لعواقبـه، رغـم كونهـا ضروريـة، أن تكـون قابلـة للتنبـؤ فـي هـذه الأثنـاء. وبهـذا المعنـى، فـإن مايـو 68 الرابـع، وهـو وحـده، مـا كان فـي النظـام السياسـي حدثيًـا. حـدث فكـرة جديـدة عـن السياسـة.

مـا هـي عواقـب الحـدث، طـوال «السـنوات الحمـراء» العشـر، مـن 1968 إلـى 1978، وطـوال انتشـارها المضـاد مـن 1978 إلـى 1988؟ لا أكثـر، ولا أقـل مـن البحـث عـن سياسـة أخـرى، توضحهـا المرحلـة الماويـة للفكـر الماركسـي، بحـث قامـت بـه حفنـة مـن المثقفيـن، وبضـع آلاف مـن الطلبـة والتلامـذة، وبضـع مئـات مـن العمـال أو مـن نسـاء المـدن. ونشـدد علـى أن فئـة ليسـت بالقليلـة مـن البروليتارييـن، القادميـن غالبًـا مـن إفريقيـا، قـد لعبـت مـن خـلال المصانـع والمقـار السـكنية، دورًا خَلَّاقًـا خـلال كل هـذا التتابـع.

تسـاءلنا مثلمـا مازلـت أتسـاءل اليـوم مـع آخريـن، مـاذا كان يمكـن أن تكـون عليـه -وربمـا بنجاحـات تجريبيـة كبـرى- ممارسـة للسياسـة لا تقبـل بـأن تتـرك كل واحـد فـي مكانـه؟ تقبـل مسـارات غيـر مسـبوقة، ولقـاءات مسـتحيلة، ولقـاءات بيـن أشـخاص لا يتحادثـون فـي العـادة؟ مـاذا يمكـن أن يكـون عليـه فكر/ممارسـة يكـون علـى

نحو ما شيوعيًّا بصورة مباشرة؟

في تلك اللحظة من مايو 68 هناك، أمام المصنع، بموكبنا الأخرق، أدركنا -دون أن نفهم بعد- أنه إذا كان ثمة سياسة شيوعية جديدة ممكنة، فإنها ستنطلق من الارتباط بالجماهير، ستكون نسفًا للتصنيفات الراسخة، لن تتمثل في تنظيم كل شخص في موقعه، بل ستنظم على العكس إزاحات مادية، وذهنية صاعقة. ستصنع بالحضور المحايث للمثقفين في المصانع، والمقار السكنية، والأحياء، والأرياف؛ كي يؤسس مبدأً منظمًا، كما قال ماو، أن «يعاد إلى الجماهير في شكل دقيق ما أعطته لنا في شكل مشوّش».

في العمق، فإن مايو 68، الرابع الحقيقي، هو تاريخ إزاحة، ما زالت عمياء جزئيًّا. وما حفزنا وحمسنا، كان الاقتناع بأنه يجب القضاء على المواقع places. إنه بوجه عام، ما يستعيد كلمة الشيوعية البديعة، المجتمع المساواتي، المجتمع الذي بحركته ذاتها يهدم الجدران والانفصالات، مجتمع التكافؤ المتعدد والمسارات المتغيرة، في العمل مثلما في الحياة. لكن «الشيوعية» تعني أيضا: أشكال تنظيم سياسية ليس نموذجها تراتبية المواقع. مايو 68 الرابع، كان هذا: مجموع الخبرات التي برهنت أن النسف المستحيل للمواقع الاجتماعية، التقويض لما لا يلين، للتراتبية الدنيئة للثروات، والحريات، والسلطات، أمور

ممكنــة اجتماعيًّــا، عــن طريــق نمــط غيــر مســبوق مــن أخــذ الكلمــة والبحــث المتلمــس عــن أشــكال تنظيــم مناســبة لجــدَّة الحــدث.

7

واليوم؟

بعد عشرة أعوام من مايو 68، قامت سيرورة وحدة اليسار وانتخاب ميتران بكبت هذا كله جزئيًّا، فارضة ظاهريًّا عودة إلى النماذج الكلاسيكية. عدنا إلى «كل واحد في موضعه» المميزة لذلك النموذج: أحزاب اليسار تحكم إذا استطاعت، والنقابات تطالب، والمثقفون يثقِّفون، والعمال في المصنع، إلى آخره.

ومثل كل عمليات العودة إلى النظام، فإن تلك المغامرة لـ «يسار» ميت بالفعل في الحقيقة قد وَلَّدَتْ داخل قطاع كبير من الشعب وهمًّا بالغ الإيجاز، يقع عند مستهل أعوام الثمانينيات، بين 1980 و1983. وتَوَجَّبَ على أجيال جديدة أن تعيد بشكل مؤلم تعلم أن اليسار ليس -ولم يكن أبدًا- فرصةً جديدة للحياة السياسية. إنه دومًا شبح عائد موشوم بقوة بندوب العفن. فمنذ عام 1982-1983، رأينا ذلك جيدًا، مع «الصرامة»، كيف يعامل العمال المضربون لشركة تالبوت[15] كإرهابيين بالفعل، وفتح معسكرات احتجاز للمهاجرين، والمراسيم ضد الهجرة العائلية، ووضع بيريجوفواه[16] لفرنسا على طريق لبْرلة مالية غير مسبوقة، بدأت إدراج فرنسا في الرأسمالية المعولمة الأشد وحشية.

لكن في النهاية يمكننا القول إننا دائمًا فوق صدع أسئلة

15- شركة سيارات فرنسية

16-بيير بيريجوفواه (1925-1993) رئيس وزراء فرنسي خدم خلال رئاسة فرانسوا ميتران (الناشر).

صعبة فتحها مايو 68. من وجهة نظر السياسة، من وجهة نظر تعريفها، ومستقبلها المنظم فإننا معاصرون لـ 68 بمعنى بالغ القوة للكلمة. مؤكد أن العالم قد تغير، وتغيرت التصنيفات، فالشبيبة الطلابية، والعمال، والفلاحون، يعنون شيئًا مختلفًا اليوم، والمنظمات النقابية والحزبية السائدة في تلك الفترة قد أصبحت اليوم حطامًا. لكن [ما زال] لدينا نفس المشكلة، نحن معاصرون للمشكلة التي وضعها مايو 68 الرابع على جدول أعمال اليوم، مشكلة معرفة أن الشيوعية، حسب مدرسة التدخلات الأخيرة للينين ولماو الثورة الثقافية الصينية، يجب -في آن واحد- إعادة الإمساك بها وإعادة اختراعها.

ونحن -مناضلي أعوام الستينات والسبعينات وكذلك الثمانينات وما بعدها- لم نكن بحاجة إلى انهيار الاتحاد السوفيتي عند نهاية الثمانينات لنعرف ذلك. فقد جرى تجريب، وامتحان، واختبار ما لا يحصى من الأشياء الجديدة في الفكر مثلما في الممارسات المرتبطة به جدليًّا. ويستمر ذلك، بفضل الطاقة الموسومة عادة بالعزلة البادية لحفنة من المناضلين، والمثقفين، والعمال الحَيارَى. إنهم حراس المستقبل ويبتكرون هذا الحرس. لكن لا يمكن القول إن المشكلة قد حلت، مشكلة الأشكال الجديدة للتنظيم الملائمة للمعالجة المعاصرة للتناحرات السياسية. الأمر مثلما في العلم: طالما لم يتم حل مشكلة، تكون لديك كل أنواع الاكتشافات التي حفزها البحث عن حل لها، وأحيانًا ترى النور

نظريـات جديـدة كاملـة لهـذا السـبب، لكـن المشـكلة، بوصفهـا كذلـك، تبقـى. بهـذه الطريقـة، ظـل كثيـرون مـن كبـار عظمـاء الرياضيـات معاصريـن لفيرمـا Fermat [17] (رجـل القـرن السـابع عشـر) حتـى وجـد وايلـز Wiles، منـذ عـدة سـنوات، الحـل أخيـرًا. ويمكننـا بنفـس الطريقـة تعريـف معاصرتنـا لمايـو 68، التـي يمكـن القـول إنهـا الوفـاء لمايـو 68 الرابـع.

مـا هـو حاسـم فـي المقـام الأول، هـو الحفـاظ علـى الفرضيـة التاريخية لعالـم متخلـص مـن قانـون الربـح والمنفعـة الخاصـة. وطالمـا ظـل المـرء، داخـل نظـام التمثيـلات الفكريـة، خاضعًـا للاعتقـاد بأنـه لا يمكنـه القضـاء علـى ذلـك، بـأن ذلـك هـو قانـون العالـم، لـن تكـون أي سياسـية انعتـاق ممكنـة. هـذا مـا اقترحـت تسـميته الفرضيـة الشـيوعية. وهـي فـي الواقـع سـلبية إلـى حـد كبيـر، لأن الأكثـر تأكيـدًا والأكثـر أهميـة هـو القـول بـأن العالـم كمـا هـو ليـس ضروريًّـا، أكثـر مـن القـول «فـي الفـراغ» بـأن عالمًـا آخـر ممكـن. هـذه مسـألة منطـق موجـه logique modale. فيهـا، نجـد أن مـا يجـب فرضـه، سياسـيًّا، هـو أن نمضـي مـن الـلا ضـرورة إلـى الإمـكان.

ثانيـا: يجـب محاولـة الحفـاظ علـى كلمـات لغتنـا، التـي لـم نعـد نتجاسـر علـى نطقهـا، تلـك الكلمـات التـي كانـت لا تـزال كلمـات الجميـع

17- مبرهنة فيرما تعد واحدة من أكثر المبرهنات شهرة في تاريخ الرياضيات، وكانت قبل برهان وايلز عليها عام 1995، مسجلة في موسوعة جينيس للأرقام القياسية تحت عنوان: أصعب معضلة في الرياضيات (الناشر).

فـي 68. يقـال لنـا: «العالـم تغيـر، ومـن ثـم لـم يعـد يمكنكـم نطقهـا، أنتـم تعرفـون أنهـا كانـت لغـة وهـم وإرهـاب». لكـن بلـى! نسـتطيع! بـل ويجـب علينـا! المشـكلة باقيـة، ومـن ثـم يجـب أن نسـتطيع نطـق تلـك الكلمـات. ويرجـع إلينـا أن ننتقدهـا، وأن نمنحهـا معنـى جديـدًا. يجـب أن يظـل باسـتطاعتنا أن نقـول «الشـعب»، و«العامـل»، و«إلغـاء الملكيـة الخاصـة»، دون أن نُعِـدَّ فـي أعيننـا ذاتها ذوي ذوق سـقيم. يجـب أن نناقش تلـك الكلمـات داخـل مجالنـا نحـن، داخـل معسـكرنا نحـن. يجـب أن نضـع حـدًّا للإرهـاب اللغـوي الـذي يسـلمنا إلـى الأعـداء. إن التخـاذل فـي اللغـة، وقبـول الإرهـاب الـذي يمنعنـا بصـورة حميمـة مـن نطـق الكلمـات التـي ليسـت ضمـن اللياقـة السـائدة، هـو اضطهـاد لا يحتمـل.

وأخيـرًا، يجـب أن نعـرف أن كل سياسـة منظمـة وأن السـؤال الأكثـر اسـتعصاءً علـى الحـل دون شـك عـن طريـق عمليـات تجريـب متعـددة الأشـكال، بـدأت منـذ 68، هـو معرفـة أي نـوع مـن التنظيـم نحتاجـه. إذ أن الجهـاز الكلاسـيكي للحـزب، المرتكـز علـى روابـط اجتماعيـة والـذي تكـون «معاركـه» الأهـم هـي فـي الحقيقـة المعـارك الانتخابيـة، هـو مذهـب قـد أعطـى كل مـا فـي طاقتـه. وهـو الآن مسـتهلك، ولـم يعـد قـادرًا علـى الأداء، رغـم الأشـياء العظيمـة التـي اسـتطاع إعطاءهـا، أو مصاحبتهـا، فيمـا بيـن 1900 و1960.

تتـم ممارسـة التعامـل مـع وفائنـا لمايـو 68 علـى مسـتويين.

فعلى مستوى الأيديولوجيا والتاريخ، يكون من المناسب أن نقوم بحسابنا الختامي الخاص للقرن العشرين، بحيث نعيد صياغة رؤية استراتيجية في شروط عصرنا، بعد إخفاق الدول الاشتراكية. وأبعد من ذلك، نعرف أن ثمة عمليات تجريب محلية جارية، ومعارك سياسية تتخلق على خلفيتها أشكال جديدة للتنظيم. يجب أن نشارك فيها ونوضحها من وجهة نظر الفرضية الشيوعية.

8

وختامًا

هـذه التوليفـة مـن العمـل الأيديولوجـي والتاريخـي المعقـد ومـن المعطيـات النظريـة والعمليـة المرتبطـة بالأشـكال الجديـدة للتنظيـم السياسـي تحـدد حقبتنـا. وهـي حقبـة يمكننـي تعريفهـا عـن طيـب خاطـر بأنهـا حقبـة إعـادة صياغـة الفرضيـة الشـيوعية. مـا هـي إذًا الفضيلـة الأهـم بالنسـبة لنـا؟ تعرفـون أن ثوريـي أعـوام 1792 - 1794 كانـوا يسـتخدمون كلمـة «الفضيلـة». فقـد سـأل سـان جوسـت[18]؛ كسـؤال محـوري: «مـاذا يريـد مـن لا يريـدون لا الفضيلـة ولا الإرهـاب؟» وأجـاب: يريـدون الفسـاد. وهـذا مـا يطلبـه منـا عالـم اليـوم: القبـول بفسـاد الأرواح المعمـم، تحـت نيـر السـلعة والنقـود. وضـد ذلـك، فـإن الفضيلـة السياسـية الأساسـية اليـوم هـي الشـجاعة. الشـجاعة، ليـس فقـط فـي مواجهـة الشـرطة، فتلـك سـتأتي بالتأكيـد، بـل شـجاعة الدفـاع عـن أفكارنـا وممارسـتها، عـن مبادئنـا وكلماتنـا، شـجاعة تأكيـد مـا نفكـر فيـه، مـا نريـده، مـا نفعلـه.

لنقـل الأمـر فـي كلمـة واحـدة، لا بُـدَّ لنـا مـن شـجاعة امتـلاك فكـرة. فكـرة عظيمـة. فلنقتنـع بـأن امتـلاك فكـرة عظيمـة ليـس مثيـرًا للسـخرية ولا إجراميًّـا. عالـم الرأسـمالية المعممـة والمتغطرسـة الـذي نعيـش فيـه يحيلنـا إلـى أعـوام أربعينيـات القـرن التاسـع عشـر، إلـى الرأسـمالية الوليـدة، التـي كان الأمـر الملـزم لهـا، كمـا صاغـه

18- سان جوست (1767-1794) سياسي وثوري وعسكري فرنسي كان أحد قادة اليعاقبة في عهد الإرهاب خلال الثورة الفرنسية الكبرى (الناشر).

جيـزوه[19]، هـو: «اغتنـوا!» وهـو مـا نترجمـه بالقـول: «عيشـوا دون فكـرة!» يجـب أن نقـول إن المـرء لا يحيـا دون فكـرة. يجـب أن نقـول: «امتلكـوا الشـجاعة السياسـية للحفـاظ علـى الفكـرة، التـي لا يمكـن أن تكـون سـوى الفكـرة الشـيوعية، فـي معناهـا النوعـي.» هـذا هـو السـبب فـي أننـا نظـل معاصريـن لمايـو 68. فقـد أعلـن، بطريقتـه، أن الحيـاة دون فكـرة لا تحتمـل. ثـم اسـتقر تسـليم طويـل، فظيـع. واليـوم يعتقـد أنـاس أكثـر ممـا ينبغـي أن عيـش المـرء مـن أجـل نفسـه، مـن أجـل مصالحـه، هـو أمـر لا محيـد عنـه. فلنمتلـك شـجاعة الانفصـال عـن أولئـك النـاس. مثلمـا فـي مايـو 68، سـنرفض الأمـر الملـزم: «القـدرة علـى الاسـتهلاك تكفيـك. عِـشْ دون فكـرة.»

هنـا يجـب علـيَّ كفيلسـوف أن أقـول شـيئًا جـرى تكـراره منـذ أفلاطـون، شـيئًا بالـغ البسـاطة. يقـول إنـه يجـب العيـش بفكـرة، وبهـذا اليقيـن يبـدأ مـا يسـتحق تسـميته السياسـة الحقـة، ومعهـا مـا أسـميته أنـا الحيـاة الحقـة. لأننـا إذا فكرنـا فـي مسـتقبل الفكـرة [المثـل الأعلـى]، وقسـنا كـم تتزايـد حقـارة العالـم كمـا يصيـر تحـت أعيننـا؛ وإذا ارتبطنـا بالجماهيـر الغفيـرة مـن العمـال والمعدميـن الهائميـن علـى سـطح الأرض كـي يعرفـوا أيـن يمكنهـم العيـش؛ إذا تعلمنـا كل الـدروس، بمـا فيهـا درس مايـو 68 الرابـع، فـي قلـب العالـم الحـي، لاسـتطعنا، لكـن، تحـت تلـك الشـروط فقـط، أن نقـول مـن جديـد؛

19- فرانسوا جيزوه (1787-1874) سياسي ومؤرخ فرنسي (الناشر).

وأن نقتفـي نـداء مـاو الأشـد ذيوعًـا منـذ عواصـف سـنوات السـتينيات والسـبعينيات: «لنـا الحـق فـي التمـرد.»

** ** ** **

يجب القضاء على الرؤى النمطية لمايو 68 التي تُغذي احتفالات وإدانات ذلك الشهر الرمزي

المؤلف

بعد نحو نصف قرن على انتفاضة مايو 1968 في فرنسا، يطرح المفكر اليساري آلان باديو تساؤلاته حول طبيعة تلك الانتفاضة ويحاول تحليلها والغوص في معانيها.

يجادل باديو بأن تلك الانتفاضة كانت على أكثر من مستوى، تتقاطع أحيانًا وتتعارض أحيانًا أخرى، فلم يكن ثمة "مايو" واحد لكل المحتجين.

في هذا الكتاب الصغير والعميق -في الآن نفسه- يأخذنا باديو في طرح فلسفي، تاريخي، تحليلي، نقدي شديد الصدق، لمحاولة كشف لغز وبيان حقيقة ما حدث في مايو 1968.

آلان باديو

فيلسوف فرنسي، ولد في يناير 1937. وكان رئيسًا لقسم الفلسفة في المدرسة العليا للأساتذة، ومؤسسًا لكلية الفلسفة في جامعة باريس الثامنة مع جيل دولوز، وميشال فوكو، وجان فرانسوا ليوتار.
كتب باديو عن مفاهيم الوجود، الحقيقة، والذات؛ بأسلوب يدعي باديو أنه ليس تكرارًا للحداثة ولا في نطاق ما بعد الحداثة.

Cover design by: Alaa Elnewehy

ISBN 978-977-821-206-8

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET